فاخترت باب الرحمة يؤمن مؤمنكم واخبرني انه ان اعطاكم ذلك ثم كفرتم انه يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من العالمين ونزلت وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون حتى قرأ ثلاث آيات ونزلت ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا الآية ۵ ولهذا قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات اي نبعث الآيات ونأتي بها على ما سأل قومك فانه سهل علينا يسير لدينا الا انه قد كذب بها الاولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي امثالهم انهم لا يؤخرون اذا كذبوا بها بعد نزولها كما قال تعالى في المائدة قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقال تعالى عن ثمود حين سألوا آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فاخرج له منها ناقة على ما سألوا فلما ظلموا بها اي كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروا الناقة فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب ولهذا قال تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة اي دالة على وحدانية من خلقها وصدق الرسول الذي اجيب دعاؤه فيها فظلموا بها اي كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوها فاباده‍م الله عن آخرهم وانتقم منهم واخذهم اخذ عزيز مقتدر ۵ وقوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا قال قتادة ان الله يخوف الناس بما يشاء من آياته لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون وذكر لنا ان الكوفة رجفت على عهد عبد الله بن مسعود فقال يا ايها الناس ان ربكم يستعتبكم فاعتبوه وهكذا روي ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب مرات فقال عمر احدثتم والله لئن عادت لافعلن ولافعلن ۵ وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله وانهما لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يرسلهما يخوف بهما عباده فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره ثم قال يا امة محمد والله ما احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته يا امة محمد والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ۵

وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ۵

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم محرضا له على الابلاغ رسالته ومخبرا له بانه قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم في قبضته وتحت غلبته قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم في قوله وإذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي عصمك منهم وقوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به والشجرة الملعونة شجرة الزقوم وكذا رواه احمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وهكذا فسر ذلك بليلة الاسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وابراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد تقدمت احاديث الاسراء في اول السورة مستقصاة ولله الحمد والمنة وتقدم ان ناسا رجعوا عن دينهم بعد ما كانوا على الحق لانه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتا ويقينا لآخرين ولهذا قال الا فتنة اي اختبارا وامتحانا واما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم لما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال ابو جهل هاتوا لنا تمرا وزبدا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا حكى ذلك ابن عباس ومسروق وابو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال انها ليلة الاسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم ۵ وقد قيل ان المراد بالشجرة الملعونة بنو امية وهو غريب ضعيف قال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني ابي عن جدي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني فلان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وانزل الله تعالى في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الآية وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه ايضا ضعيف بالكلية ولهذا اختار ابن جرير ان المراد بذلك ليلة الاسراء وان الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم قال لاجماع الحجة من اهل التاويل على ذلك اي في الرؤيا والشجرة ۵ وقوله ونخوفهم اي الكفار بالوعيد والعذاب والنكال فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا اي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم ۵

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت